**المحاضرة الرابعة ( تابع الاتجاه الاصلاحي عند الطهطاوي )**

**العلم** / عاشت الحياة الثقافية والعلمية في عهد الدولة العثمانية على الشروح للمتون القديمة في الحضارة الاسلامية وكان التعليم السائد يرتكز على العلوم اللغوية والدينية ولم تحتل دراسة العلوم المدنية مساحة واضحة في هذا التعليم ولكن مع محاولة محمد على باشا احداث نهضة تواكب اطماعه ادرك ان نقل التقنية الحديثة في الجيش لا يمكن ان يتم بدون تعليم العلوم المدنية الحديثة التي انتجت هذه التقنية ولهذا ارسل محمد على البعثات وجلب العديد من العلماء الاجانب وحاول الطهطاوي تصوير اهمية هذا الامر وتبريره من الناحية الشرعية فيقول ( سارع محمد على باشا في تحسين بلاده فاحضر فيها ما امكنه احضاره من علماء وبعث ما امكنه بعثه في مصر.... فان علماءها ( اوربا) اعظم من غيرهم في العلوم الحكمية)وقد وجدنا مثل قائل ( الحمة ضالة المؤمن بطلبها ولو في اهل الشرك)

يحاول الطهطاوي من خلال منطلقاته الدينية وعقيدته الشرعية تبرير النقل عن الاخر من خلال النص القراني فيقول ( ومن يؤت الحكمة فقد اتى خيرا كثيرا) وقد فسر العلماء الحكمة بانها العلم النافع والعلم هنا هو العلوم النظرية والعلمية وقد اظهر الطهطاوي ان نظام التعليم في الازهر يعتمد على اتقان العلوم الشرعية واللغوية ولم يجذب طلابه الى تكميل عقولهم بالعلوم الحكمية /

على الرغم من سعي الطهطاوي الحثيث الى نقل مكتسبات العلوم الغربية والتعلم منهم الا انه كان ينظر دوما الى الغرب نظرة دينية معيارية فهم ليسوا اهل نجاة وهداية ولكن ينبغي ان نتعلم منهم العلم المدني وفقا لمنطق المصلحة .

بالرغم من اهتمام الطهطاوي بالعلوم في تقدم العالم العربي الا ان نظرته كانت نظرة اعلاء للعلوم الدينية على انها ارفع العلوم من منطلق اعطاء الاولوية للنقل على العقل وللديني على المدني ولعل هذا ما يفسر مدى التقدم الكبير الذي احرزته الحضارة الاسلامية في مجال العلوم الدينية واللغوية بما لا يقارن بالاسهام المحدود الذي قدمه العرب في مجال العلوم المدنية.

**إستنتاجات** /

بدا الطهطاوي مشروعه بجملة من التساؤلات منها كيف نستمر في قيم حضارة لادين لها ؟ وكيف تتمدن المجتمعات ؟ وكيف تنهار المدائن؟ من خلال هذه الملاحظات الدقيقة للمجتمع الفرنسي اكتشف الطهطاوي ان السر يكمن في تاسيس الدولة الحديثة التي تقوم على مبدأ الحرية والمساواة والتداول على السلطة وحرية النقد ولكن الثقافة التي ينتمي اليها الطهطاوي لا تسمح له بطرح هذه الافكار دون اعادة تشكيل الوعي لهذا لجأ الى جملة من الاليات التالية

تحديث البرامج التعليمية لان المدرسة العربية تستند الى مناهج كلاسيكية لا ترقي لروح العصر الراهن وكان مبرر الطهطاوي ان الفعل لا ياتي الا من خلال تشكل الوعي لان الانسان العربي كان يجهل طبيعة الحقوق سواء كانت الحقوق الطبيعية او السياسية او المدنية وباعادة تشكل وعي الافراد ليصبح قادرا على رفض كل مظاهر الاستبداد والطغيان

ومنه كانت دعوة الطهطاوي الى تاسيس دولة حديثة تمر عبر اعادة تحديث البرامج التربوية وعقلنة الحياة الثقافية في المجتمع وتحرير المراة من قيود العادات السلبية وارجاع مكانة المراة العربية / لكن هل نجح الطهطاوي في احداث تغيير ؟ وهل وضع اسس النهضة ؟هل كان مشروع الطهطاوي تنويري او تغريبي ؟ وهل كان مشروع الطهطاوي مجرد محاكاة للحداثة الفرنسية ؟يقول محمد عمارة " اذا كانت النهضة هي صيرورة تاريخية وحتمية فالطهطاوي اول نافذة اطل منها العالم العربي على الحداثة" لكن المشروع النهضوي ظل مجرد رؤية تسكن الكتب لانه لم ينبع من صميم الواقع العربي وهواجسه فكان يتراوح بين الايديولوجيا واليوتوبيا ولم تتحول تلك الافكار الى مشروع جماهيري عملي ولعل التيار الاصلاحي سيسعى الى اخراج الافكار الثورية من القوة الى الفعل وهو ما سنكتشفه مع الافغاني وتلميذه محمد عبده

- **حركة الإصلاح الديني والنهضة العربية**

**ضبط مفهوم الإصلاح الديني**/ قبل ضبط المفهوم والحديث عن المشاريع العربية خاصة مع الافغاني يجب طرح الساؤلات التالية / هل نحن بحاجة لاعادة قراءة الحركات الاصلاحية لحل مشاكلنا الراهنة ؟او لم العودة إلى الافغاني؟

لقد افرزت صدمة الحداثة ثلاثة تيارات وهي ( التيار الليبرالي الذ يقوم على مقولة ان الواقع لن يتغير إلا عبر تأسيس دولة حديثةوالذي مثله رفعت رافع الطهطاوي / والتيار الثاني الذي يقوم على مقولة ان الواقع لن يتغير إلا إذا غيرنا نظرتنا إلى الطبيعة والكون والذي مثله شبلي شميل / اما الاتجاه الاخير فهو يقوم على التيار الاصلاحي الذي يرى ان الواقع لن يتغير إلا إذا غيرنا فهمنا للدين وقد مثله الأفغاني .

**مصطلح الإصلاح**/ إننا معنيون هنا بتلك الأفكار التي ظهرت في القرن 19 وهي تلك الافكار التي أنتجها مفكري الإسلام منذ صدمة الحداثة والتي لا تزال أصداؤها مستمرة وآثارها منبثقة في الافكار لحد اليوم، لأن رواد الإصلاح أدركوا التفاوت التاريخي بين مجتمعاتهم ومجتمعات الحداثة الغربية ، وقد بحثوا في الوسائل التي يمكن ان تنتقل بالمجتمعات العربية إلى وضع أفضل، وقد لاحظ رواد النهضة أن هذا التخلف والإنحطاط يعود إلى القرن 14 ومن مظاهر ذلك النكوص الكلي عن الفعل السياسي والإقتصادي و الثقافي و الإجتماعي حتى بلغ درجة العجزالكلي عن النمو في القرن 19هذا الوضعهو الذي إشتغل عليه مفكرينا وعملو على محاولة إصلاحه وهي الفترة التي يطلق عليها ( فهمي جدعان) مرحلة اليقضة والنهضة وهي لحظة تاريخية سعى فيها الرواد للتحرر من سلطة الأتراك .

**- في دلالة المصطلح** / مصطلح الإصلاح يرادف التجديد والتحديث والتغيير ، والهدف منه إحداث نهضة سياسية وإقتصادية وإجتماعية وثقافيةـ ومن شأنها إعادة المجتمعات العربية لحركة التاريخ . وإرتكزت الإيديولوجيا الإصلاحية على النص الديني، فهي دعوة إلى تجديد الفهم كإعادة تأويل النصوص الدينية، فهو إصلاح يشمل المناهج والآليات. وهكذا إتفق الرواد على ضرورة العودة إلى النصوص .وهذه العودة هي الكفيلة بإخراج الأمة من تخلفها، فالمعيار للنهضة هو الإسلام كدين ، وفعل التجديد والإصلاح لا يقتصر على الدين الإسلامي فحسب، فقد ظهرت حركات الإصلاح الديني في أمريكا اللاتينية ، ودعت إلى ضرورة إعادة قراءة النصوص الدينية لفهم روح العصر بحيث ظهرت حركات تنويرية دعت إلى ضرورة تفعيل مبدأ التأويل من أجل إستنطاق النصوص الدينية إنطلاقا من شروط العصر الراهن، ومن بين الحركات الاصلاحية التي ظهرت حركة ( مارتن لوثر) وقد أنشأ حسن حنفي على شاكلة لاهوت مسيحي ويهودي لاهوت إسلامي متأثرا بجمال الدين الأفغاني وحركة الإصلاح ، رغم أن حسن حنفي يؤكد على أن الفكر الإصلاحي لم يقدم تصورات تكون بمثابة أرضية لتأسيس رؤى تكون قادرة على إستعاب متطلبات العصر ورهاناته ، مما يعني أن الفكر الإصلاحي لم يكن جذريا في رؤيته ، لهذا لم تتمكن المجتمعات العربية من تجاوز أزمته ، فالإصلاح الديني لم يكن ثمرة لمنطلق تطور الدين الداخلي لهذا يقول أحمد برقاوي( بأن الإصلاح الديني يقوم على النظر إلى هذا الإتجاه بوصفه تجاوزا لعجز الإيديولوجيا الديني السائدة عن الإستجابة لمطالب فئات إجتماعية تمت وتطورت في قلب التحولات الطبقية والسياسية والثقافية .

**الأفغاني سيرة ومشروع** / في الوقت الذي بذأت فيه الدول الأوربية تتقدم وتتطورـ بدأت الشعوب العربية والإسلامية في الإنحطاط والتدهور لقد كان الحل بالنسبة لرجال الفكر هو الانفتاح على أوربا ، ولكن ظهرت دعوات أخرى جادة تهدف إلى وحدة العالم ، الشريعة، الهندسة، مما يعني أنه جمع بن العلوم الشرعية و العقلية ، وإطلع على بعض نظريات الطب، والفيزياء والكيمياء وكذا الفلسف، مما يعني أنه كان ملما بكل حقول العلوم مما ساعده على إقامة حلقات تواصل مع كل أصناف المعارف ، ولاك أن الإنتماء الأرستقراطي لجمال الدين الأفغاني كان له الأثر الكبير في رؤيته للعالم الإسلامي، لأنه كان ينتمي إلى أسرة حاكمة في إحدى إمارات الأفغاني . كما عرف بإتقان اللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى العربية .

**- الأسس التي أقام عليها الأفغاني إصلاحه**

1/ الرجوع إلى كتاب الله والإشستضاءة بهديه والعمل بمبادئه

2/ تطهير الدين من البدع والخرافات والإنحرافات التي لحقت به

3/ ضرورة العودة إلى فتح باب الإجتهاد ومحاربة التقليد والجمود

4/ الدعوة إلى تربية دينية صحيحة للنشأ ، يتولى أمرهم فقهاء

5/ الدعوة إلى وحدة المسلمين المسلمين على حكومة إسلامية يكون دستورها الإسلام

6/ الدعوة إلى قيام حكم من منطلق إسلامي قائم على الشورى والعدل .

بدأ الافغاني أولا بتفكيك الأزمة إلى عناصرها فلاحظ أنها أزمة مركبة تعود جذورها إلى القرن 14 ولكنها تأزمت أكثر بفعل الإستعمار الحديث الذي سعى إلى تفكيك الهوية ، وإعادة تأسيسها على معطيات مغايرة تماما لهوية الاسلام ، لكنه لم يمنع نفسه من النقد لكل المؤسسات منها /

**أ/ التخلف التربوي** / لقد لاحظ الأفغاني أساليب التربية في ظل المدارس العربية والإسلامية تقتصر على تقديم مواد شرعية ولا تهتم بالعلوم العقلية والطبيعية، وهذا كان سببا في بلورة وعي مزيف( حيث كرست المدارس في نشر الخرافات والاسطورة )

**ب/ التخلف السياسي/** هذا التخلف لاحظه في علاقة الحاكم بالمحكوم ، فلا وجود لحوار بين السلطة والمجتمع ، لان السلطة دائما تمارس الإقصاء ، والمجتمع مجرد وسيلة لتحقيق أهداف السلطة الحاكمة التي لا تلتفت لحقوق المواطن، وبالتالي غياب الحرية لمختلف أشكالها ( الفكرية، التغيير ، النقد، الإبداع) بسب الإستبداد.

**ج/ ضرورة تغيير نظام الحكم**/ وهذا يعني لا يكون إلا عن طريق رفض الإستعمار ، فنادى أولا بضرورة أم تحصل الشعوب العربية والإسلامية كافة إستقلالها السياسي ، ونلمح هنا ان التغيير الذسي أراده الأفغاني هو تغيير راديكالي يمس كل الجوانب السياسية والإقتصادية والثقافية...

د/ ضرورة خروج الإستعمار من العالم العربي/ لأن الإستعمار أخر وأبطأ المشاريع النهضوية في العالم العربي .